16

سفينة النجاة !

قال سندباد :

كان لي تجربة قديمة في صناعة السفن؛ ومن أجل ذلك كان العمل سهلًا عليَّ؛ وكانت أشق مرحلة هي قطع الأشجار الضخمة لنشق منها ألوحًا رقيقةً نصنع منها السفينة؛ فإنَّ المنشار الذي عثرنا به كان منشارًا صغيرًا لا ينفع في قطع الشجر الضخم، فكنا نقضى وقتًا طويلًا نضرب أصول الشجر بالقدوم، ثم نستخدم المنشار الصغير في إتمام القطع . . .

ومضت بضعة أسابيع قبل أن نصنع هيكل السفينة، ولم يمض بعد ذلك إلا شهر حتى كانت السفينة كاملة الصورة . . .

ولم يكن يساعدني في العمل غير باقر، أما أبى والشيخ وأبو الإسعاد فكانوا يفارقوننا كل يوم في الصباح الباكر ليستكشفوا أسرار الجزيرة، فلا يعودون إلا بعد الغروب . . .

فلما كملت صورة السفينة، قلت لأبى وصاحبه : قد آن الأوان لنستعد للرحلة . . .

قال الشيخ : وهل فرغتم من كل شيء في السفينة ؟

قلت : نعم، إلا الشراع.

قال أبو الإسعاد : ليس يعنيني الشراع؛ ولكن هل وجدتم الزفت الذي تسدُّون به الثقوب وتلحمون ما بين الألواح ؟

ولم يكن هذا الأمر قد خطر ببالي، فقلت متحيرًا : الزفت!

قال أبو الإسعاد موبخًا : نعم، الزفت، أتريد أن نخوض البحر بسفينة غير مزفَّتة، فيتسرب الماء من ثقوبها وتغرق؟

فانكسرت نفسى بعد انتعاش، ووقعتُ في حيرة شديدة؛ ولحظ أبى حيرتي فأشفق عليَّ؛ ولكنه ظل صامتًا فلم ينطق؛ وظل أبو الإسعاد يردد : الزّفت، الزّفت يا سندباد وإلا غرقنا !

قال الشيخ متندِّرًا : النجارة على سندباد، الزِّفت على أبى الإسعاد ! فغضب أبو الإسعاد لهذه النكتة وصاح : أتقول عليَّ الزفت!

ولمح أبى بوادر الخصام بينهما فقال: عليَّ أنا . . . فلا تتخاصما!

ومضت لحظة صمت، ثم نهض أبي وهو يقول : الزِّفت أعظم شيء قيمةً، بل إن له الآن كل القيمة، وليس لشيء غيره قيمة !

ثم قام فغاب عنا لحظةً، ثم عاد يقول : وجدتُ الزفت، وستكون السفينة – إن شاء الله – على أهبة الرحيل بعد أيام . . .

فلما كان صباح الغد لم يذهب أبي مع الشيخ وأبي الإسعاد كعادته، بل ظل معي حتى ذهبا، ثم قال لي: أصحبني أنت وباقر لنبحث عن شيء مثل الزفت نسدُّ به ثقوب السفينة . . .

ثم مضى ومضينا معه، حتى انتهينا إلى مجموعة كثيفة من الشجر تشبه الغابة الصغيرة، فوقف ووقفنا معه، فأشار إلى مجموعة من الشجر وهو يقول : من هذا الشجر نستطيع أن نأخذ شيئًا يغني عن الزفت .

ثم مال على شجرة منها فوخزها وخزة، فسال منها سائل أبيض يشبه اللبن لم يلبث أن جمد على القشرة؛ فقال : هذ نوع من الصمغ يمكن أن نسد به ثقوب السفينة؛ فهل عندك وعاء كبير يا سندباد ؟

قلت : نعم، عندي قدر كبيرة كانت في قصر أمير النسانيس، لعلها تصلح لهذا الغرض .

ثم ذهبت فغبت لحظة، وعدت أحمل تلك القدر على رأسي، فوضعها أبى في أصل شجرة من ذلك الشجر، ثم أحدث في ساقها ثقبًا، امتلأت به وفاض على جانبيها، فقبض أبى قبضه من طين فسدَّ الثقب في ساق الشجرة، ليحبس فيها السائل ثم انحنى على القدر ليحملها ولكني سبقته إليها، فوجدتها ثقيلة؛ فتعاونت مع باقر على حملها إلى مكان السفينة؛ فقال لي أبي: الآن تستطيع أن توقد نارًا تحت القدر لتذيب ذلك الصمغ، ثم تسد به ثقوب السفينة . . .

وصنعتُ أنا وباقر كانونًا كبيرًا، ثم وضعنا عليه القدر، وأشعلنا تحتها النار حتى ذاب الصمغ، ثم أخذنا نصب الصمغ الذائب في الثقوب، فلا يكاد يمر به الهواء حتى يجمد الغراء، فيلحم ما بين الألواح ويكسو الخشب طبقةً صلبةً لا ينفذ منها الماء . .

فلما عاد أبو الإسعاد والشيخ في المساء، استقبلناهما فرحين، ثم أخبرناهما بما فعلنا، فانبسط أبو الإسعاد وقال : حسنا فعلتم . . .

ثم ألقى بين أيدينا شيئا كان يحمله، وقال لنا : وحسنًا فعلنا نحن أيضًا !

فنظرنا إلى ذلك الشيء الذي ألقاه بين أيدينا، فإذا هو طائر ذبيح كان قد اصطاده، ففرحنا به فرحًا عظيمًا، ثم صنعنا منه وليمةً وتعشَّينا عشاءً فخمًا فيه لحم، ثم تهيَّأنا للنوم . . . .